

الملتقى الثاني لندوة عمر بهاء الدين الأميري

شاعر الإنسانية المؤمنة

"صوت الشاعر: قراءة للرؤى المتجاوزة في قصيدة (إنسان يموت...)
لشاعر الإنسانية المؤمنة عمر بهاء الدين الأميري"



د. سعيد الغزاوي*

lghazaoui@maktoob.com



عمر بهاء الدين الأميري

1- **القصيدة:** "عدت عبر باريس، وتلبثت فيها أياماً... وذات مرة استوقفت سيارة أجرة، وآثرت الجلوس بجوار سائقها، وقد تقدم به العمر، وأدرت الحديث متسائلاً عن أوضاع باريس اليوم، وقد مضى على دراستي الجامعية فيها، أكثر من ثلاثين عاماً، فكان مما أجابني به السائق، حديث عن: "إنسان يموت..."

تاكسي... وسارع في اتجاهي وهو يقتحم الزحاما
شيخ، ينحن صوته وكأنه يشكو زكاما
جاورته... وسألته مستدرجاً منه الكلاما..
فأجاب لا يا صاحبي قد غير الزمن الأناما
وتبدلت تلك العهود فلا رخاء ولا سلاما
* * *

إنساننا، في غرب هذا اليوم قد خفر الذماما
يجري ليقتم الحياة وما يرغدها اقتحاما
ويظن أن رقيه في أن يرفهها دواما
يستعجل الكسب الحرام وليس يفهمه حراما
ويذود ذا.. ويدوس ذا وتزيده الخمر احتداما..
وفجعة أمس القريب أما سمعت؟ فقلت: لا، ما؟
فتنهذ الشيخ العجوز وقال قد كانت صداما..
سيارة تجري كبرق خاطف، فجأت غلاما
فرمته، وانطلقت تطير.. كأنها لم تجن ذاما..
والبائس الحي المجندل في الثرى يحكي الركاما
قد كان يفتح ثغره في صمته، يشكو أواما
وجراحه الحرى تصيح ونزفها صبغ الرغاما..
والناس.. لا يتوقفون ولا يرون.. ولا... علاما؟
كل له من شأنه ما يملأ النفس اضطراما
وتمر سيارات من في الحي عنه، وقد أقاما

عجلى تجاوزه وتمضي وهي تخترق الظلما
والناس فيها عاشق ضم الحبيبة مستهاما
وجماعة في نزهة تمضي، وتفتقد الندامى
ومراهقون يراشفون بنات معهدهم مداما
وثرية , وحببيها المبتز يكذبها الغراما...!
وأب يعاتب طفله والطفل يأبى أن يلاما
كثر... وما أحد توقف والفتى يلقي الحماما...!!
وتنهذ الشيخ العجوز وكان قد بلغ المقاما
لكنه وإلى الكلام وطرفه بالدمع غاما:
إنساننا.. ماذا أقول؟ أقول أعمى أم تعامى!
صعدت به دوامة الإعصار، فاكتنف الغاما
واغتر واستعلى وظن بأنه ملك الزاما
عميت حقيقته عليه فضل عنها واستنما
ومضى يدب كدبة السكران في وحل ترامى
* * *
إنسان غرب اليوم، عصري، ونحن هم القدامى!
إن الحياة يعيشتها سيعيشتها موتاً زواما

"من ديوانه "صفحات ونفحات"

خواطر وذكريات وتجليات

شعر وفكر"

٢- القراءة:

٢-١ قراءة العتبة الأولى/ المقدمة:

لا يستطيع قارئ هذه القصيدة إغفال دلالات العتبة الأولى/ المقدمة التي يقول فيها
الأميري "عدت عبر باريس، وتلبثت فيها أياماً.. وذات مرة استوقفت سيارة أجرة، وأثرت
الجلوس بجوار سائقها، وقد تقدم به العمر، وأدرت الحديث متسائلاً عن أوضاع باريس
اليوم، وقد مضى على دراستي الجامعية فيها، أكثر من ثلاثين عاماً، فكان مما أجابني به
السائق، حديث عن: "إنسان يموت...".

تقدم لنا قراءة هذه العتبة الأولى صورة عن ذاكرة الأميري في باريس، ذاكرة تستغرق
ثلاثين سنة تفصل بين الدراسة الجامعية للأميري في باريس، وهاته الزيارة التأملية التي
يستمتع فيها لأوضاع عاصمة النور والجمال يحكيها صاحب سيارة الأجرة. ذاكرة ترصد
تحولات الإنسان الباريسي وتفاعله اليومي مع أوضاع هذه العاصمة. إنه التفاعل الذي ينتج
إنساناً يموت، كما تدل عليه العتبة الثانية:

٢-٢ قراءة العتبة الثانية/ العنوان "إنسان يموت":

توحي القراءة الأولى للعنوان ببعثيته، لأن الموت سنة إلهية ملازمة للإنسان، فما
جدوى قصيدة عنوانها يوحي بالحديث عن هذه السنة الإلهية؟.. وهل شاعر كبير من طينة
وحجم عمر بهاء الدين الأميري تذهب به السذاجة مدى بعيداً فيخصص قصيدة لظاهرة
طبيعية هي موت الإنسان؟ لذلك نرجح الاحتمال الثاني لحديث عن موت آخر للإنسان غير
الموت الطبيعي، موت تكشف عنه العتبة الأولى، ويكشف عنه حديث صاحب سيارة الأجرة
الباريسي الذي خير أوضاع باريس مثلما خير موتاً آخر للإنسان غير الموت الطبيعي الذي
يلزمه. نتوقع في قراءتنا لهاتين العبتين، حياة متدرجة بالإنسان من إنسانيته إلى قيم أخرى
تتحدّر به نحو موت في الحياة. كما نتوقع منتقلين من القمة/العنوان إلى القصيدة/القاعدة

خطاباً حجاجياً يبرهن على موت الإنسان الباريسي في الحياة. الإنسان المتعطش للحياة يعب منها لكي تؤدي به إلى الموت.

فلننتقل إلى قراءة القصيدة /القاعدة حاملين معنا توقعين لاتجاه العنوان: توقع حديث القصيدة عن الموت الطبيعي للإنسان، مما يعضد مقولة: "سذاجة الشاعر الأميري"، أو توقع الحديث عن موت الإنسان الباريسي /الغربي في الحياة، مما يعضد مقولة "عمق شاعرية الأميري وعمق تناوله جوهر الإنسان الذي يحيا بالقيم، فإذا فقدتها وتخلت عنها انحدر نحو موت في الحياة.

هي إذن حكاية إنسان باريسي يعيش الموت، حكاية تقرأها لا بمعيار الصدق والكذب، وإنما بالمنطق الذي بنى -وفقه- الأميري عالم الإنسان الباريسي من جهة رؤيته للعالم، إنه منطوق المؤرخ والمفكر والشاعر لأنه وسم ديوان "صفحات ونفحات" الذي انتخبت منه هذه القصيدة "بخواطر وذكريات وتجليات... شعر وفكر" مما يعني حضوره مؤرخاً: يؤرخ لمسار الإنسان من خلال شهادة سائق سيارة الأجرة، وحضوره مفكراً يفكر في رصد تحولات عقلية الإنسان الباريسي، وحضوره شاعراً يرقى بالخطاب التاريخي /الفكري إلى ذروة بيانية تمتلك قدرة جمالية على بناء العالم ورسم آفاقه.

٢-٣ قراءة القصيدة /القاعدة:

تنشكل القصيدة /الحكاية من مقدمة وحكاية وخاتمة لذلك نقترح تقسيمها إلى ثلاث وحدات:

١- الوحدة الأولى /المقدمة: "إنسان غيره الزمان" من البيت الأول: تاكسي.. إلى البيت الخامس: ولا سلاماً".

٢- الوحدة الثانية /الحكاية: "إنسان أعمى أم تعامى" من البيت السادس: إنساننا.. إلى البيت الرابع والثلاثين: ترامي".

٣- الوحدة الثالثة /الخاتمة: "إنسان يعيش الموت" وهي مركزة تتشكل من البيتين الخامس والثلاثين والسادس والثلاثين".

١- الوحدة الأولى /المقدمة "إنسان غيره الزمان":

١-١ المعجم: بتأملنا في معجم هذه الوحدة نميز بين حقلين دلاليين: (حقل الإنسان) و(حقل الزمان).

-أجاب

ينبغي الإقرار بصعوبة التمييز بين هذين الحقلين الدلاليين لتداخلهما بنية ودلالة، إنه تمييز تقتضيه عوامل منهجية ترمي إلى إبراز عنصر الزمن وتأثيره في الإنسان. تأثير الزمن في الإنسان بأفعال عميقة الدلالة: "سارع -يقتم -ينحنج -يشكو -غير -بدل" إنها بزمنها الماضي والحاضر تدل على لا إرادة الإنسان، ما دام الزمن متحكماً في أفعاله بالمسارعة والافتحام والتنحنج والشكوى والتغير والتبدل.

كما أن الأسماء تدل على حضور قوي للإنسان بمردافاته "شيخ -صاحب -الأنام" أو لوازمه "صوت -الكلام" ويجاوره حضور قوي للزمن بلفظه المفرد "الزمن أو جمعه "العهود" أو بعض منجزاته "تاكسي".

أما الصفات فتعضد خصيصة التداخل بين حقلي الإنسان والزمن، وتضيف خصيصة قابليتها لتتنسب لهما معاً. سواء ما تعلق بصفتي "اتجاه -مستدرج" في حقل الإنسان، أو صفات "الزحام -رخاء -سلام" في حقل الزمن: فتجوز نسبة الاتجاه للزمن ما دام الأميري يصور الإنسان فاقداً لإرادته، وكذلك صفة الاستدراج المستمدة من الوصف القرآني في قوله تعالى: "فذرني ومن يكذب بهذا الحديث، سنستدرجهم من حيث لا يعلمون، وأملي لهم إن كيدي متين" القلم ٤٥. تجوز نسبة هذه الصفة للزمن الذي بأطايبه وملذاته يستدرج بها الإنسان.

والقول نفسه يصلح في الصفات الملحقة بحقل الزمن فتصح في حقل الإنسان محققاً للزحام ومنتعماً بالرخاء والسلام.
بهذا التداخل بين حقلي الإنسان والزمن ودلالات الأفعال والأسماء والصفات نبدأ في تبیین رجاحة احتمال حديث الأميري عن إنسان يموت في الحياة مجازاً، وحتى نطمئن إلى سلامة هذا الترجيح المبني على قراءة هذه الوحدة في مستواها البسيط، مستوى المعجم، أقترح الرقي إلى مستوى أعلى هو مستوى الصورة.
٢-١ الصورة:

ترد الصورة غانية في الشطر الأول من البيت الأول "تاكسي.. وسارع في اتجاهي" – وهو مصطلح يعني خلو الصورة من المحسنات البلاغية- صورة الشاعر الأميري ينادي سائق التاكسي فيسارع في اتجاهه. ويمكن قراءتها مجازاً في اتجاه التلميح إلى بعض خصائص العصر الباريسي الجديد عصر السرعة. فيكون اعتماد الشاعر الصورة "سارع" للدلالة على طبيعة الحياة المتسارعة في باريس.
وأما الشطر الثاني "وهو يقتحم الزحاما" فالاستعارة واضحة لصورة المعركة" حيث يكون الاقتحام والزحام" صورة الإنسان الباريسي يعيش معركة متواصلة يحتاج فيها للاقتحام حتى يجد لنفسه مكاناً في الزحام.
وأما الصورة في البيت الثاني "شيخ ينحن صوته وكأنه يشكو زكاما" فتعتمد التشبيه بكامل أركانه: بالأداة كأن والمشبه به رجل مريض بالزكام ووجه الشبه ينحن صوته.
والصورة المجازية في البيت الثالث "جاورته.. وسألته مستدرجاً منه الكلاما..." للشاعر الأميري وسائق التاكسي صورة رجلين يمكر أحدهما بالآخر حين يجاوره ويسأله حتى يستدرجه لكشف الأسرار.

والصورة البيانية في قوله تعالى: "سنستدرجهم من حيث لا يعلمون" تحضر بقوة في هذا البيت تفوح بالدلالة على وظيفة الاستدراج بوحاً بالحقائق وكشفاً عن الأسرار.
أما النتيجة المرجوة من تلك الصورة المجازية البيانية فتتحقق في البيتين الرابع والخامس: الاستجابة/فأجاب وباح بالحقيقة/ السر: "لا يا صاحبي قد غير الزمن الأناما، وتبدلت تلك العهود فلا رخاء ولا سلاما" صورة مجازية استعارية للزمن يغير الإنسان، والعهود تتبدل فتظهر صورة الإنسان الباريسي المحارب مجازاً يفقد في معركته الرخاء والسلام.
هكذا يقدم لنا مستوى الصورة ما يعضد مستوى المعجم دلالة على الإنسان الباريسي في معركته مع الزمن، حيث ينتصر عليه تغييراً وتبدلاً. وتكون من نتائج هذه الهزيمة صورة جديدة لإنسان يعيش ميتاً.

لننتقل إلى المستوى الموالي لعله يمدنا بما يدعم أو يدحض هذه الصورة
٣-١ الرمز:

تاكسي	رمز للحضارة المعاصرة ومنتجاتها.
يقتحم	رمز للمعركة
الزحام	رمز لمعاناة الإنسان.
مستدرجاً	رمز لهزيمة الإنسان.
لا رخاء	رمز لطبيعة الزمن
لا سلام	رمز لطبيعة الزمن.

هي إذن كلها رموز عميقة الدلالة على خصائص الإنسان الباريسي المهزوم في معركته مع الحضارة المعاصرة.

هذا المعجم وهذه الصور وهذه الرموز وسيلتنا في التدرج إلى المستوى الأعلى الذي يرومه هذا المنهج أقصد مستوى الرؤية للعالم في هذه الوحدة.

١-٤ الرؤية: "رؤية الأميري للعالم في الوحدة/ المقدمة (إنسان غيره الزمن)"

الشاعر جاورته وسألته مستدرجاً منه الكلاما
الإنسان غير الزمن الأنا - لا رخاء ولا سلاما
سائق التاكسي سارع في اتجاهي وهو يقتحم الزحاما
الشيخ ينحج صوته - يشكو الزكاما
الزمن وتبدلت تلك العهود - لا رخاء ولا سلاما
العالم/ باريس

هذه الوحدة /المقدمة ترجح الاحتمال الثاني لقراءة عنوان القصيدة، احتمال الحديث عن الموت، لا بوصفه سنة من سنن الله "كل نفس ذائقة الموت" وإنما موت يعيشه الإنسان في الحياة. إنها رؤية الأميري للعالم من خلال نموذج المصغر "العاصمة باريس"، حيث تقوم معركة طاحنة بين الإنسان والزمن، تنتهي بانتصار وغلبة الزمن بعد ما استدرج الإنسان، فوقع في شرك الحياة في الموت.
لنتنقل إلى الوحدة المركزية "وحدة الحكاية" مترقيين حججاً تبرهن على الصورة الجديدة لإنسان يعيش الموت.

٢- وحدة الحكاية (إنسان أعمى أم يتعمى):

بنأملنا في معجم هذه/ الحكاية، وهي الوحدة المركزية في القصيدة، نقترح فرز الحقلين الدلاليين نفسيهما: "حقل الإنسان" و"حقل الزمن".

حقل الإنسان

الأفعال	الأسماء	الصفات
خفر -يجري	إنسان	غرب-الذمم
-يفح -يظن -يرفه	الكسب	اقتحام-الرقى
يفهم -يذود	الشيخ	دوام-الحرام
يدوس -تزيد	غلام	حراما-احتدام
سمعت-قلت-تنهد-قال	الحي-المجنذل	العجوز-صدام
-كانت - يحكي -يفتح	الثري -ثغره	الزكام-صمت
يشكو-تصيح-يتوقفون-	جراح- الرغام	أوام- الحرى- نرف
يرون -يملاً	الناس-شأن -النفس	صبغ-البائس
أقام-يملاً	الحي-الناس	اضطرام-عاشق
تفتقد -يراشفون	الحبيبة -جماعة -الندامى	مستهام-نزهة
يكذب-يعاتب	مراهقون -بنات-معهد	المبتز-الغرام
يأبى -يلام	المدام-ثرية -حبيب	كثر-العجوز
توقف -يلقى	أب- طفل -الطفل-أحد	المقام -الكلام-
تنهد -كان-بلغ -والى	الفتى- الحمام -الشيخ	غاما-أكمه -دوامة
أقول -أقول -تعامى	طرف-الدمع- إنسان	السكران -دبة
صعدت-اكتنف -اغتر	دبة- الإعصار	

استعلى -ظن

ملك -عميت -ضل -استنام

مضى -يدب -ترامى

حقل الزمن

الأفعال

الصفات

الأسماء

الرقى-دوام-

اليوم -الحياة

يرغد -يرفه -تجري

احتدام

فجأت - رمت - انطلقت الخمر - الأمس فجيسة - القريب -
صدام
تطير - تجني - تمر - تجاوز سيارة - برق خاطف - عجلي -
الظلام
- تمضي - تخترق - ترامي سيارات - المدام - الغمام - حقيقة الزمام - الإعصار -
وحل

لم نجد في معجم هذه الوحدة/ الحكاية، التي تشكل الوحدة المركزية في القصيدة، ما يتجاوز حقلي الإنسان والزمن، فهما إذن يعضدان الوحدة/ المقدمة ويؤكدان توقعنا باحتمال التفاعل لتعضيد أو دحض حديث الأميري عن إنسان يعيش الموت.
وخصيصة التداخل والتفاعل بين الحقلين، التي ميزت الوحدة/ المقدمة هي التي تتأكد في هذه الوحدة/ الحكاية حتى يبرز عنصر الزمن وتأثيره في الإنسان بأفعال عميقة الدلالة:
"يرغد - يرفه - تجري - تمضي - تخترق". وفي مقابلها أفعال الإنسان الدالة على الاستجابة لتأثير ووقع الزمن: "خفر - يجري - يفتحم - يظن - يرفه - يستعجل - يزود - يدوس - يفتح - ينكد - يكذب - يعاتب - يأبى - اغتر - استعلى - ظن - ملك - عميت - ضل...)" كما أن الأسماء تدل على حضور الإنسان بمصادقاته: "إنسان - شيخ - غلام - الناس - الناس - جماعة - الحبيبة - الندامى - مرهقون - بنات - ثرية - حبيب - أب - طفل - الطفل - أحد - الفتى - الشيخ - إنسان" وبعناصره في: "الحي - ثغره - النفس - المدام - الدمع".
كما يجاوره حضور قوي للزمن بمفرداته: "اليوم - الحياة - الأمس" وبعناصره "سيارات - الغمام - المدام - حقيقة - برق"

وأما خصيصة اشتراك حقلي الإنسان والزمن في الصفات فتتكرر في هذه الوحدة:
صفات "غرب - الذمم - اقتحام - الرقي - دوام - الحرام - احتدام - صدام - فجيسة - خاطف"
حيث يجوز إلحاق صفة الغرب بالإنسان وبالزمن وكذا الذمم والرقى.
وتستقل صفات أخرى بالإنسان مثل "الصمت - الركام - الحمام - المستهام - المبتز - الغرام - الكثر - العجوز - المقام - الكلام - الأعمى - السكران" كما تستقل صفات بالزمن مثل "الظلام - خاطف - الإعصار - الوحل - الفجيسة".

خلاصة التأمل في المعجم الكثيف والغني والمتنوع لهذه الوحدة هي ظاهرة التداخل بين حقلي الإنسان والزمن أفعالاً وأسماء وصفات، نتوقع عند انتقالنا إلى مستوى الصورة ما يعضد هذا التداخل والتأثير بين الحقلين، فلنرق إليه حاملين معطيات مستوى المعجم.
٢-٢ الصورة:

ترد الصورة في البيت الأول محملة بالمجاز "إنساننا، في غرب هذا اليوم، قد خفر الذماما". صورة الإنسان المعاصر في الغرب وقد خفر الذمم، إنها صورة مجازية لمن أخل بالعهود وتخلّى عن القيم.

كما تعجب الأميري صورة المعركة بين الإنسان والزمن فيؤكدها فعلاً ومصدراً: "يقتحم / اقتحاماً" فالاستعارة واضحة للمعركة بفعل ومصدر الاقتحام، حيث يظهر الإنسان بطلاً جسوراً لا يخاف معركة الحياة بل يجري إليها ولرغدها حتى يكون من المقتحمين إنها صورة استعارية جميلة لمعركة الاقتحام التي وردت في الوحدة/ المقدمة، تتكرر هنا بشكل أقوى فعلاً ومصدراً (يقتحم اقتحاماً) بل يضيف إليها الفعل "يجري" الدال على خصيصة العجلة التي يتسم بها الإنسان في الغرب.
أما الأبيات الثلاثة المتوالية فيزيد فيها تأكيد هذه الصورة الاستعارية للإنسان يفتحم رغد الحياة:

"ويظن أن رقيه في أن يرفهها دواما" صورة غانية للإنسان يرقى برفاهية دائمة في حياته.

"يستعجل الكسب الحرام - وليس يفهمه حراماً" صورة غانية لذلك الإنسان تؤكد الجري بصفة الاستعجال، وتؤكد الغفلة بصفة (ليس يفهمه) لكسب الحرام. "ويذود ذا... ويدوس ذا وتزيده الخمر احتداماً" فإذا لم يشبعه الكسب الحرام، فإن الصورة الغانية الموالية تؤكد صورة الإنسان الغربي في ثلاثة أجزاء: جزء يدافع فيه عن الظالم وهو المسكوت عنه، وجزء يسحق فيه الضعيف، وجزء يتزود فيه بالخمرة طاقة محرّكة للإنسان في معركته ضد الحياة، وهي صورة رغم كثافتها عميقة في استحضار الصورة البيانية للإنسان الباريسي لا يخوض المعركة ضد الزمن إلا بعد التزود بالخمرة طاقة تزيده ضللاً. وأما الصورة المركبة المالية فتجلى حكاية الغلام البائس المجنول، صورة مركبة من تسعة أبيات تحكي الفجيرة، وأغلبها صورة غانية من قوله "وفجيرة الأمس القريب.. إلى قوله فرمته وانطلقت".

صورة الغلام الذي صدمته سيارة تجري كالبرق، فلا تتوقف لإنقاذه، وكأنها لم ترتكب جريمة. ثم صورة الغلام الذي ما زال حياً مضرراً في دمائه مجتمعاً على نفسه مثل الركام، يتألم في صمت رغم فمه المفتوح، أما براعة الصورة المقابلة ففي الجراح التي تصيح، والدماء التي تنزف لتحول لون الرغام إلى لون الدماء. إنها تعوض الألم الصامت للغلام رغم فمه المفتوح بصياح الجراح الحرى.

وأما الصورة المقابلة فهي بارعة رغم كونها غانية: إنها صورة الناس الذين لم توفهم صورة الفجيرة الملمة بالغلام، رغم صياح الجراح وصبغ الرغام بالدماء. تعضدها صورة استعارية لأنفس الناس مشغولة بهمومها الخاصة (كل له من شأنه ما يملأ نفسه اضطراباً) ثم تتوالى الصور الجزئية التفصيلية للبرهنة على صدق صورة الناس غير المتوقفين ولا الرائيين فجيرة الغلام الجريح.

-الصورة الجزئية الغانية لسيارات الحى في عجلة تمضي وتخرق الظلام" وتمر سيارات من في الحى عنه عجلت تجاوزه وتمضي وهي تخرق الظلام".

- ثم الصورة الجزئية لأصناف من الناس:

+صورة العاشق المنشغل عن الفجيرة مستهماً في ضم حبيبته (عاشق ضمن الحبيبة مستهماً).

+ صورة المراهقين وزميلاتهم في المعهد يتبادلون كؤوس الخمرة (ومراهقون...)

+ وصورة غانية لجماعة ماضية إلى النزهة بحثاً عن الندامى (وجماعة.. الندامى)

+ وصورة ثرية يغرر بها حبيب مبتز يدعي محبتها (وثرية...)

+ وصورة أب لا يبالي صغيره الطفل بعتابه (وأب يعاتب...)

+ وصورة تلخص طبائع الناس في الغرب حيث لا يتوقف منهم أحد لنجدة الفتى المعرض للموت. كثر وما أحد توقف والفتى يلقي الحماما...".

بعد هذه الصورة ذات الطبيعة الحجاجية للبرهنة على غفلة الناس عن الاهتمام ببعضهم،

يعود الأميري إلى صورة الشيخ العجوز تلخص حقيقة التحول الذي يشهده الإنسان

الباريسي، وهي صورة مركبة من سبعة أبيات (وتتهد الشيخ العجوز.. أم تعامى)، تغلب

عليها خصيصة الأميري في الاحتفال بالصور الغانية الخالية من المساحيق البلاغية.

صورة الشيخ العجوز متهداً كناية عن حزنه، وقد بلغ المقام: كناية عن تقديمه ما يكفي من البراهين عن غفلة الإنسان الغربي.

ثم صورته يبرهن بالكلام عن هذه الغفلة.

ثم الصورة /الحكمة/ الخلاصة: إنساننا كناية عن انتساب الشيخ العجوز إليه، لذلك لا يجرو

على مصارحة الشاعر بالحقيقة: ماذا أقول؟

ثم ينطق بها لتقدم احتمالين لصورة الإنسان الغربي: إنسان أعمى حالت همومه اليومية

والمادية عن النظر إلى إنسانيته وواجباته لتحقيقها؟ أم إنسان يتعامى عن معرفة جوهره

الإنساني، فيهرب إلى الأمام لتحقيق ما يملأ النفس اضطراباً. وللبهنة عن عمى الإنسان أم تعاميه يتوسل ببعض المحسنات البلاغية:

صورة مجازية للإنسان الغربي صاعداً مراقي الحضارة المادية (دوامة الإعصار) التي أوصلته إلى اكتناف الغمام، كناية عن رتبة المجد التي وصل إليها بين الأمم والحضارات. وتعزدها صورة الإنسان/ السوبرمان superman حسب نظرية الفيلسوف الألماني نيتشة: عقله ليس مثل العقول، وجسمه ليس مثل الأجسام، وحضارته ليست مثل الحضارات. صورة الإنسان السوبرمان معجباً ومستعلياً ومتوهماً أنه متحكم في البشرية (واغتر واستعلى وظن بأنه ملك الزمام) لا تقوت قارئ هذه الصورة مفردة استعلى القرآنية التي تحيل على الأمم والجماعات التي نهجت هذا النهج: نهج فرعون وهامان وقارون، فاستعلت على شعوبها وقهرتها. وتفرسها صورة الإنسان السوبرمان في مسخ كاريكاتوري مضحك: -إذ كيف يكون الإنسان الغربي سوبر ماناً وهو أعمى عن معرفة حقيقته (عميت حقيقته عليه).

- وكيف يكون الإنسان الغربي سوبرماناً وقد تاه عن طريقه (فضل عنها).
- بل كيف يكون الإنسان الغربي سوبرماناً وقد استناما. وهي كناية دالة على تعبه من النظر والمسير فطلب النوم ليخلد للراحة.

ثم يختم بصورة ساخرة أكثر إيلاماً، هي صورة الإنسان السوبرمان الذي استعلى وملك الزمام واكتنف الغمام، ينتهي أمره إلى أن يدب دبيب السكران المتمرغ في التراب. صورة الإنسان يتهاوى من ذلك الاستعلاء ومن الغمام إلى الوحل يدب فيه دبيب الحشرات المهينة. بهذه الصورة التي تغلب فيها الغانية والبلاغية مجازاً واستعارة وتشبيهاً وكناية وصوراً مركبة وصوراً حاجية وصوراً حكاية ساخرة يتوسل بها الأميري للبهنة وتعزيد حصيلتنا من مستوى المعجم: "تأثير الزمن في الإنسان، وتحويله إلى إنسان سوبر مان أعمى أم تعامى".

لندعم هذا المستوى بمستوى الرموز التي وظفها لدعم المعجم والصور.

٢-٣ الرموز:

إنساننا: رمز لانتساب الشيخ للإنسان الغربي.
اقتحام: رمز لنشوب معركة بين الإنسان الغربي والزمن.
الكسب الحرام: رمز الحياة المادية التي يتغذى منها الإنسان الغربي.
البائس: رمز لحقيقة الإنسان الغربي في بعض نماذجه.
اضطراب النفس: رمز لغياب الطمأنينة.
إنسان أعمى: رمز للغفلة.
إنسان تعامى: رمز للهروب من الحقيقة.
إنسان اغتر واستعلى: الإنسان الغربي السوبرمان.
إنسان ملك الزمام: الإنسان الغربي السوبرمان.
إنسان استنام: رمز للوهن الذي أصابه بتأثير الزمن.
إنسان في وحل يترامى: رمز للهزيمة التي ألحقها به الزمان فأسقطه من علو شاهق إلى وحل الكائنات الضعيفة التي تدب.

بهذه الرموز يزيدنا الأميري برهنة على تمكن الزمن من النيل من الإنسان، وتحويله من الإنسان إلى السوبرمان إلى الإنسان/ الحشرة يدب دبيباً في الوحل.

هذه الوحدة المركزية، وحدة الحكاية، بغنى معجمها وصورها ورموزها، تمكننا من الإمساك بمعالم الرؤية للعالم عند الأميري من خلال نموذج المصغر/العاصمة باريس. فما هي معالم هذه الرؤية للعالم كما تمدنا بها المستويات السابقة:

السيارة
الغلام

الشاعر: فقلت: لا، ما؟
سائق التاكسي: طرفه بالدمع غاما
الشيخ العجوز
الزمن
العالم/ باريس

سيارات الحي عجلت تجاوزه وتمضي
الناس: كثر وما أحد توقف - لا يوقنون ولا يرون - ولا علام - كل له من شأنه
ما يملأ النفس اضطراما - عاشق ضم الحبيبة - جماعة في نزهة مراقون يراشون -
الإنسان الغربي خفر الذماما يجري ليقتم الحياة وما يرغدها اقتحاماً /ويظن أن رقيه في
أن يرفهها دواما ويذود ذا ويدوس ذا وتزيده الخمر احتداما.
بهذه الوحدة المركزية وحدة/ الحكاية يكون الأميري بكثافة المعجم والصور والرموز قد
تمكن من إبراز معالم رؤيته لعالم الإنسان الباريسي /الغربي وقد ركب الغرور والاستعلاء،
فاعتقد أنه الإنسان السوبرمان، ثم كان السقوط المهين الذي مسخه إلى حشرة تدب وفي
وحلها تترامى.

٣- الوحدة الخاتمة: إنسان يعيش الموت:

لعل هذه الوحدة مكثفة بهذا العنوان المستمد من معجمها لتقدم لنا الإجابة المنتظرة منذ
قراءة عتبتني القصيدة والوحدتين السابقتين. كما أنها مكثفة المعجم والصورة في بيتين يختم
بهما الأميري حكايته "إنسان يموت..". فلنبدأ بمستوى المعجم متوقعين ما يشفي الغليل، ويقدم
خاتمة استدالات الشاعر على موت الإنسان الغربي.

٣-١ المعجم:

نحافظ على الحقلين الدلاليين في هذه الوحدة "حقل الإنسان وحقل الزمان" رغم قلة
المعجم نظراً لاختزال الوحدة وتكثيفها في بيتين.

حقل الإنسان

الأفعال	الأسماء	الصفات
يعيش-يعيش -القدامي	إنسان	غرب-عصري

حقل الزمن

الأفعال	الأسماء	الصفات
---------	---------	--------

اليوم-الحياة-الموت زوام

خصيصة التداخل بين الحقلين حاضرة كذلك في هذه الوحدة، حتى يتأكد تأثير الزمن في
الإنسان: تغيب الأفعال عن حقل الزمن وتحضر أسماء "اليوم -الحياة -الموت" كما تحضر
صفة زوام وهي صفة عميقة الدلالة في التأثير في الإنسان، بالإضافة إلى كونها آخر ما
يختم به الأميري القصيدة.

وأما معجم الإنسان فينكرر فيه فعل يعيش مرتين، ويرد الإنسان مفرداً بصفات دالة على
كونه غريباً وعصرياً، كما ترد صفة القدامي جمعاً دلالة على صنف آخر من الناس.

دلالة الأفعال والصفات والختم بصفة زوام، تطمئن على سلامة الاحتمال الذي افتتحت
به القراءة، احتمال حديث الأميري عن موت من طبيعة أخرى غير سنة الله النافذة في
الإنسان موت زوام بما كسب الإنسان الغربي العصري.

فلننتقل إلى مستوى الصورة لعلها تعضد وتدعم توقعنا احتمال دلالات القصيدة على هذا
الإنسان الذي يعيش الموت.

٣-٢ الصورة:

ترد الصورة في البيت الأول من هذه الوحدة غائبة عميقة في دلالتها على مأساة الإنسان الغربي العصري، عميقة في سخريتها من عصريته وقدامة الأميري ومن شابهه (إنسان غرب اليوم، عصري — ونحن هم القدامى).
أما الصورة في البيت الثاني فتفاجئ بالمقابلة الحاسمة بين الموت والحياة، كما ستتحقق في الإنسان الغربي بعصريته. جمال المقابلة "الحياة/ الموت" و "يعيش الموت/ صفة الزؤام" كناية عن قسوة إحساس الإنسان الغربي بموت فريد لم يعيشه القدامى. موت يعيشه واقفاً حتى يتجرع مرارته.
لننتقل إلى مستوى الرمز تعصيماً لهذه الدلالات أو دحساً لها.

٣-٣ الرموز:

ترد رموز دالة على اتجاه القصيدة.
الغرب: رمز للإنسان الغربي بخصوصياته.
عصري: رمز لادعاء الإنسان الغربي مسابته للحياة.
القدامى: رمز للإنسان الشرقي الذي لا يحسن فن الحياة كما يدعي الغرب.
الموت الزؤام: رمز مركب وعميق الدلالة على مصير الإنسان الغربي.
فما هي الرؤية الخاتمة للعالم التي ارتقيناها منذ مطلع القراءة؟ لنرق إلى مستوى الرؤية:
٣-٤ الرؤية:

تختزل هذه الوحدة /الخاتمة خلاصة رؤية الأميري للعالم من خلال نموذج العاصمة باريس وحياة الإنسان الغربي فيها، وتجيبنا عن دلالات العنوان اللغز الذي وضعه الأميري للقصيدة "إنسان يموت" فلنبرز معالم هذه الرؤية حتى ينكشف ستر القصيدة بعنيتي المقدمة والعنوان:

إنسان الشرق	القدامى
إنسان غرب اليوم	عصري
يعيش الحياة موتاً زؤاماً	
العالم /باريس	

يغيب الزمن في هذه الوحدة بشكل لافت، لكننا إذا أحسنا القراءة وجدناه متجلياً في الإنسان بصنفيه:

١- إنسان غرب اليوم يسقيه الحياة موتاً حتى يكسر عجه واستعلاءه.

٢- أما إنسان الشرق فيسقيه الحياة قدامة حتى يتركه في كسله ونومه.

تركيب:

هكذا مكنتنا هذه القراءة المتدرجة من العنيتين (المقدمة والعنوان) إلى القصيدة بوحداتها الثلاث من الاستماع إلى صوت الشاعر الأميري يحكي لنا حكاية "إنسان يموت" وهي مناسبة للكشف عن جوانب مغفلة في شخصية الأميري التي غلبت عليها صفة الشاعر. جانب المؤرخ وجانب المفكر. ولعل عنوان الديوان: (صفحات ونفحات: خواطر وذكريات وتجليات شعر وفكر) يلفت نظر القارئ إلى حضور التاريخ والفكر في ثنايا قصائده. وهو في هذه القصيدة تاريخ الإنسان الباريسي خلال ثلاثين سنة، ورصد التحولات التي عاشها فكره في هذه الحقبة، فانتقلت به من الإنسان السوبرمان المغرور المستعلي بتملكه الزمام إلى الحشرة الحفيرة التي تدب وتترامى في الوحل.
بهذه القراءة المتدرجة من المعجم إلى الصورة فالرمز فالرؤية نكون سعينا إلى إنصاف الشاعر الأميري بالكشف عن رؤيته الفلسفية للإنسان الغربي وقدرته البيانية والحجاجية على تقديم حكاية هذا الإنسان الذي يعيش الموت الزؤام.